

الأسس الفلسفية و"السوسيولوجية" للتربية والتعليم

في فكر "أفلاطون" وامتداداتها

The philosophical and sociological foundations of education in the thought of Plato and their extensions

جبالة محمد¹، مقدم مختارية²

¹ جامعة مصطفى اسطمبولي - معسكر (الجزائر)، mohamed.djebella@univ-mascara.dz

² جامعة مصطفى اسطمبولي - معسكر (الجزائر)، mokhtaria.mokaddem@univ-mascara.dz

تاريخ الاستلام : 2024/08/27 ؛ تاريخ القبول : 2025/04/30 ؛ تاريخ النشر : 2025/07/31

Abstract

This humble article addresses the intellectual foundations on which the thesis "Plato" is based on the phenomenon of education, by providing a philosophical and sociological reading of the concept of "platonic" within this field, where we try to focus on its influence on thinkers and scientists and its extensions within Field of the fields.

Keywords: education, Teaching, sociology, philosophy.

المخلص

يتناول هذا المقال الأسس الفكرية التي قامت عليها أطروحة "أفلاطون" لظاهرة التربية والتعليم؛ وذلك من خلال تقديم قراءة نقدية فلسفية وأخرى سوسيولوجية للتصور "الأفلاطوني" ضمن هذا المجال، حيث نحاول التركيز على تأثيره في المفكرين والعلماء وامتداداته ضمن مجال الحقلين.

الكلمات المفتاحية : التربية، التعليم، علم الاجتماع، الفلسفة.

*المؤلف المراسل.

تمهيد:

يهدف هذا المقال إلى تحديد ماهية التربية، أسسها، وأهدافها في المرحلة الكلاسيكية للفكر الإغريقي، وتحديدًا في الفلسفة المثالية لأفلاطون الذي يعتبر من الأوائل الذين تحدثوا في مجال النظريات التربوية.

وقد ارتأينا تقديم هذا العمل وفق مخطط يقوم في البداية على تحديد معنى المفاهيم التي ترتبط بهذا الموضوع (التربية، التعليم، والتنشئة الاجتماعية)؛ ثم قدمنا مستويين من القراءة لعمل أفلاطون ارتبطت بالفلسفة، أما الثانية فقد كانت من وجهة نظر علم الاجتماع؛ وعليه يمكن طرح الاسئلة الآتية: ماذا يقصد بمفاهيم التربية، التعليم، والتنشئة الاجتماعية؛ وما هي الاسس الفلسفية والسوسيولوجية التي قامت عليها التربية والتعليم عند "أفلاطون". وللإجابة عن هذه التساؤلات نورد ما يأتي:

1. في تحديد معنى المفاهيم: قبل الحديث عن الأسس التي تقوم عليها ظاهرة التربية والتعليم في الحضارة الإغريقية عامة، ومن وجهة نظر "أفلاطون" بصفة خاصة، فإنه يتوجب تحديد معاني هذين المفهومين والمفاهيم القريبة منه، على غرار مفهوم التنشئة الاجتماعية، بهدف مقارنة ومقاربة وتقييم العملية التربوية والتعليمية "الأفلاطونية" من خلال تحديد خصائصها مقوماتها العلمية والعملية. وفيما يأتي تحديد (لغوي واصطلاحي) لمفاهيم: التربية، التعليم، والتنشئة الاجتماعية.

1.1. في معنى التربية؛

التربية، لغة؛ جاء في "لسان العرب": "ورب ولده الصبي، يربه ربا، وربيه تربيا وتربية، عن اللحياني: بمعنى رباه. وفي الحديث: لك نعمة تربها، أي تحفظها وتربها وتربيها، كما يربي الرجل ولده"⁽¹⁾. ويقابلها في اللغة الفرنسية مصطلح (éducation)؛ وهي تعني، حسب قاموس (le robert)، "تدريب الإنسان وتطويره من خلال الاعتماد على الوسائل الكفيلة لتحقيق ذلك"⁽²⁾. أما في اللغة الانجليزية فتقابلها كلمة (education)؛ ومعناها، حسب

قاموس (oxford): "عملية التعليم والتدريب والقراءة التي تكون ضمن المدارس أو الكليات لتحسين المعارف وتطوير المهارات"⁽³⁾.

أما عن المعنى الاصطلاحي لمفهوم التربية فيمكن أن يستشف من خلال التعريفات الآتية:

- تعرفها "مادلين قرافيتز" (Madeleine Grawitz) بأنها: "مجموع الوسائل والأساليب التي يعتمد عليها مجتمع معين لتحقيق الاندماج الاجتماعي لأعضائه من تزويدهم بالقيم المرغوبة، ثقافته، والمعارف الضرورية لتنمية شخصياتهم"⁽⁴⁾.

- أما "اللانلد" (Lalande) فيرى أن التربية مرادف لما سماه "تهذيب الشبان"؛ وهي: "سلسلة عملية إجرائية يُدرب بها الراشدون (الأهل عموماً) الصغار من جنسهم ويشجعون لديهم نمو بعض النزعات وبعض العادات. عندما تستعمل الكلمة بمفردها، تشير، في الأغلب، إلى تربية الأطفال في الجنس البشري"⁽⁵⁾.

- أما "أحمد زكي بدوي"، فيعرفها بقوله: "هي نظام اجتماعي يحدد الأثر الفعال للأسرة والمدرسة في تنمية النشء من النواحي الجسمية والعقلية والأخلاقية، حتى يمكنه أن يحيا حياة سوية في البيئة التي يعيش فيها"⁽⁶⁾.

- أما "جيل فيريول" (Gilles Ferréol)، فيعرفها بقوله: "هي ما يغير صفات الإنسان أو ينتج عن هذا التحول، مقصوداً كان أم غير مقصود"⁽⁷⁾.

- ويعرفها "سبنسر" (Spencer) بأنها: "إعداد المرء لان يحيا حياة كاملة"⁽⁸⁾.

- أما "ساطع الحصري" فيعرفها بقوله: "التربية هي تنشئة لفرد قوي البدن، حسن الخلق، صحيح التفكير، محبا لوطنه، معتزاً بقوميته، مدركاً واجباته، مزوداً بالمعلومات التي يحتاج إليها في حياته"⁽⁹⁾.

- وعموماً "تشير الدراسات التربوية إلى أن التربية هي عملية التكيف، أو التفاعل بين الفرد وبيئته التي يعيش فيها، وعملية التكيف أو التفاعل هذه نعني بها تكيفاً مع البيئة الطبيعية، والبيئة الاجتماعية ومظاهرها، وهي عملية طويلة الأمد، ولا نهاية لها إلا بانتهاء الحياة" (10).

بناءً على التعريفات السالفة الذكر يتبين أن التربية هي عملية يتم بموجبها تنمية الجوانب الجسمانية، النفسية، الفكرية، الروحية، والاجتماعية للأفراد لكي يتمكنوا من الاندماج والتوافق الاجتماعي مع الخصوصية الاجتماعية والثقافية للمجتمع الذي ينتمون إليه؛ إنها باختصار عملية نقل الموروث الثقافي من جيل (الكبار) إلى جيل آخر (الصغار) بهدف تحقيق أقصى درجات التكيف الاجتماعي. هذا فيما يتعلق بمفهوم التربية؛ لكن ماذا عن مفهوم التعليم؟

2.1. في معنى التعليم؛

التعليم لغة؛ جاء في لسان العرب لابن منظور أن: "العلم نقيض الجهل، عِلْمٌ وَعِلْمٌ هو نفسه، ورجل عالمٌ وَعَلِيمٌ من قوم علماء فيهما جميعاً... قال ابن بري: ويقول عِلْمٌ وَفَقَةٌ أي تعلمٌ وتفَقَّةٌ، وَعِلْمٌ وَفَقَةٌ أي ساد العلماء والفقهاء. والعَلَامَةُ: السَّنَابَةُ وهو من العِلْمِ" (11). وإذا انتقلنا إلى اللغة الفرنسية فالتعليم يقابله مصطلح (Enseignement)؛ وهو يعني: "فن التدريس ونقل المعارف. وهو يفيد معاني: التعليم، التدريب، التربية" (12). أما في اللغة الإنجليزية فيقابله كلمة (Teaching)؛ وهو يعرف على أنه: "عمل المعلم؛ إنها تريد أن تذهب إلى التدريس (جعله مهنة). وهو يمثل أفكار شخص أو مجموعة معينة حول السياسة، أو الدين، أو المجتمع التي يتم تدريسها للآخرين" (13). إذن فالتعليم، من الناحية اللغوية، يعني فن التدريس الذي يرتبط بنشر أفكار وتعاليم معينة تخص العديد من المجالات؛ لكن ماذا عن معناه الاصطلاحي؟

ولتحديد المعنى الاصطلاحي للتعليم فيمكن الاستعانة بالتعريفات الآتية:

- يُعرف التعليم بأنه: "تنبيه النفس العلامة بالفعل للنفس العلامة بالقوة، والتعلم هو تصوُّر النفس لصورة المعلوم" (14).
 - وتعرفه "مادلين غرافيتز" بقولها هو: "نقل المعارف النظرية والعلمية والثقافية التي ترتبط ارتباطا وثيقا بنمط ثقافي لمجتمع معين" (15).
 - أما "احمد زكي بدوي" فيرى انه "يمثل المراحل المختلفة التي يمر بها المتعلم ليرقى بمستواه في المعرفة في دور العلم" (16).
 - وهناك من يضيف عليه معنى أوسع بقوله: "التعليم يشمل فكرة التنشئة الاجتماعية أو التنشئة الثقافية بصفة عامة، وعملية التعلم الرسمي التي يمكن تسميتها التنشئة المدرسية" (17).
 - ويعرف من وجهة النظر البيداغوجية على انه: "عمل المدرس في اتجاه مساعدة المتعلم على التعلم؛ ويقتضي هيكلة المادة والنشاطات وفق تدرج يراعي حاجات المادة والمتعلم والمجتمع" (18).
- يتبين من التعريفات السابقة أن التعليم هو عملية نقل وتبادل المعلومات والمعارف (بين المعلم والمتعلم) ضمن إطار رسمي (المؤسسات التعليمية)، من خلال وضع برامج ومناهج تعليمية تتماشى مع الخصوصية الاجتماعية والثقافية للمجتمعات، وبالتالي خلق أفراد متكيفين اجتماعيا مع قيم وعادات وتقاليده المجتمع الذي ينتمون إليه عن طريق توظيف ما يصطلح على تسميته "التنشئة الاجتماعية".

3.1. في معنى التنشئة الاجتماعية؛

التنشئة في اللغة العربية، من "نَشَأَ يَنْشَأُ وَنُشِئَ وَنُشِئَتْ"؛ ربا وشَبَّ" (19). ويقابل هذا المفهوم في اللغة الفرنسية (socialisation)؛ الذي يعني، حسب قاموس (le Robert)، فعل يؤسس على مراعاة المصلحة الجماعية والعامة (20). أما في اللغة الانجليزية فيقابله مصطلح (socialization) التي تعرف على أنها عملية يتمكن من خلالها الإنسان، وخاصة الطفل، من أن يتصرف بطريقة مقبولة داخل المجتمع الذي ينتمي إليه (21). إذن فالتنشئة الاجتماعية

تعني، من الناحية اللغوية، النمو، مراعاة المصلحة العامة، والتوافق الاجتماعي؛ لكن ماذا عن معناها الاصطلاحي؟

ولتحديد المعنى الاصطلاحي لهذا المفهوم، فانه يمكن الاستعانة بالتعريفات الآتية:

- تعرفها "مادلين قرافيتز" بأنها عملية تزويد الأفراد بالقيم، المعايير، القوانين، والثقافة عن طريق مؤسسات اجتماعية كالأسرة والمدرسة، بهدف إدماجهم في المجتمع الذي ينتمون إليه؛ إنها عملية تعلم وتكيف⁽²²⁾.

- وتعرف أيضا بأنها: "نتاج العمليات التي يتحول بها الفرد من مجرد كائن عضوي إلى شخص اجتماعي"⁽²³⁾.

- أما "أحمد زكي بدوي" فيعرفها بقوله: "العملية التي يتم بها انتقال الثقافة من جيل إلى جيل. والطريقة التي يتم بها تشكيل الأفراد منذ طفولتهم حتى يمكنهم المعيشة في مجتمع ذي ثقافة معينة، ويدخل في ذلك ما يلقيه الآباء والمدرسة والمجتمع للأفراد من لغة ودين وتقاليد وقيم ومعلومات ومهارات... الخ"⁽²⁴⁾.

- كما تُعرف أيضا بأنها: "عملية يُعلم فيها أفراد جدد في المجتمع قواعد وقوانين اللعب الاجتماعي من خلال وكالات للتنشئة الاجتماعية تساعد هؤلاء الجدد أن يتبنوا قوانين وقواعد تساعدهم على اللعب بنفس الطريقة المرتضاة في ذلك المجتمع"⁽²⁵⁾.

- ويعرفها "إريكسون" (Erikson) بأنها: "عملية تحويل الكائن البشري من حالة الطفولة أو الرضاعة ومن حالة الضعف والأنانية إلى حالة الرشد المثالي الذي يدين بالامتثال المعقول مع وجود سمات الاستقلال والإبداع"⁽²⁶⁾.

- وتعرف أيضا بأنها: "عملية تشكيل السلوك الاجتماعي للفرد. أو هي عملية استدخال ثقافة المجتمع في بناء الشخصية"⁽²⁷⁾.

- أما من وجهة النظر السوسيولوجية فتعرف التنشئة الاجتماعية بأنها: "تعلم الرموز للدخول في جماعة اجتماعية ثم تطوير الاستعدادات الفردية للمشاركة في حياة الجماعة حتى يصبح الفرد عنصرا مكملا للآخرين" (28).

بناءً على التعريفات السالفة الذكر يتضح أن التنشئة الاجتماعية عملية يتم بموجبها نقل الكائن الحي (الإنسان) من حالته العضوية- الفطرية إلى الاجتماعية عن طريق تطبيعها اجتماعيا من خلال استدماج ثقافة المجتمع لديه (الخصوصية الاجتماعية والثقافية: المعايير، الأعراف، العادات والتقاليد، القوانين... الخ). ويضلع بتأدية هذه المهمة جملة من المؤسسات الاجتماعية على غرار الأسرة، المسجد، الكنيسة، المؤسسات التعليمية، وسائل الإعلام والاتصال وغيرها؛ إنها عملية متواصلة تبدأ بميلاد الإنسان وتنتهي بوفاته، وهدفها هو تحقيق أكبر قدر ممكن من ظاهرة التكيف الاجتماعي لدى الأفراد والجماعات وبالتالي المؤسسات. لكن ماذا عن خصوصية العملية التربوية والتعليمية عند "أفلاطون"؟

2. الأسس الفلسفية والسوسيولوجية للتربية والتعليم عند "أفلاطون":

قبل الخوض في غمار الاسس الفلسفية والسوسيولوجية للتربية والتعليم عند "أفلاطون"، فإنه يتوجب ان نتعرض لحياته ومساره من التعرف على الظروف التي عاشها وعاشها وكيف شكلت واثرت في شخصيته وعلى مسار فكره.

1.2. افلاطون: حياته ومساره؛ يتفق اغلب دارسي السير والتراجم أن السياق الاجتماعي والثقافي التي عاشه وعاشه الباحث يؤثر في فكره وطبيعة توجهه العلمي؛ بل انه يوجد الكثير من المفكرين جاءت أفكارهم كانعكاس لواقع المجتمع الذي ينتمون إليه. ولذلك فإنه يتوجب أن نشير، ولو بإيجاز، لحياة "أفلاطون".

إذا جئنا إلى تسميته فهو "ارسطوقليس" (Aristocles) بن "ارسطون" (Ariston) و"افريقطيون" (Péricktion). وقد أطلق عليه من قبيل السخرية "أفلاطون"؛ أي العريض،

لامتلاء جسمه وعظم منكبيه وقوة بنيته. ولد بأثينا وعاش فيها معظم حياته التي ناهزت الثمانين⁽²⁹⁾.

وإذا تكلمنا عن مساره التعليمي فيؤكد الدارسون انه "لما بلغ العشرين من عمره تتلمذ على يد "سقراط" ولازمه نحو ثمانية أعوام، فسمع مناقشاته ودون الكثير من أرائه. وبعد أن نُفذ الحكم على "سقراط" هاجر إلى بلدة "ميجارا" القريبة من أثينا، ثم زار آسيا الصغرى ومصر وإيطاليا وصقلية. وقد اهتم بدراسة المذاهب الفلسفية الشائعة في زمنه، وشملت دراسته مذاهب الفلسفة الشرقية كالهندية والفارسية⁽³⁰⁾.

أما عن توجهه العلمي فهو "فيلسوف مثالي ومؤسس المثالية الموضوعية ومؤلف أكثر من ثلاثين محاوراً فلسفية (السوفسطائي، وبارمينيدس وتيتياتوس والجمهورية وغيرها من المحاورات)"⁽³¹⁾. كما انه أسس "مؤسسة للبحث الفلسفي والعلمي والسياسي تدعى "الأكاديمية" (Academy). وكان يأمل في تأسيس حكومة فاضلة في "سيراكوز" بمساعدة الطاغية "ديونوسيوس الأول" وعمه "ديون" الذي صاغ عنه فكرته عن الملك الفيلسوف. ومات في أثينا سنة 347/348 ق.م⁽³²⁾.

وبناء على هذه الظروف التي عاشها وعاشها "أفلاطون" تشكلت فلسفته التي وُسمت بأنها مثالية، وقد استعرض أسسها ضمن كتابه المشهور "الجمهورية" الذي يعتبر بحثاً رائداً في مجال ما يمكن أن نسميه "إشكالية إقامة المدينة الفاضلة التي تتسم بالطبقية ويرضى فيها الكل بمكانته ومركزه الاجتماعي الذي يشغله". وقد انطلق في سبيل تحقيق هذه الجمهورية المثالية من تحليل العملية التربوية والتعليمية باعتبارها محور أساسي لتوزيع الأدوار وتشكيل الطبقات الاجتماعية داخل المجتمع، وهذا ما يجعلنا نتساءل عن الأسس التي قامت عليها نظريته في مجال التربية والتعليم.

2.2. الأسس الفلسفية للتربية والتعليم؛

تأثر "أفلاطون" بفكر أستاذه "سقراط" تأثرا بالغا في كل من آرائه الفلسفية والتربوية؛ ومن المسائل التي يتفق فيها "أفلاطون" مع أستاذه "سقراط" قوله أن أساس الفضيلة هي المعرفة وأن الهدف الأساسي من الفلسفة والتربية هو إصلاح الفرد والمجتمع والوصول إلى معرفة الخير وتنمية هذه المعرفة وطبع النفس الإنسانية على الحق والخير والجمال، واتخاذ لطريقة الحوار والمناقشة أساسا لكتابات وتعليمه⁽³³⁾.

وفيما يخص نظريته للتربية فقد اعتبرها عملية تدريب أخلاقي أو هي الجهود الاختياري الذي يبذله الجيل القديم لنقل العادات الطيبة للحياة ونقل حكمة الكبار التي وصلوا إليها بتجارهم إلى الجيل الصغير. وأما بالنسبة لأهداف التربية فإنه قد أشار إلى عدد منها في كتابه "الجمهورية"، من بينها ما يأتي:⁽³⁴⁾

1. تحقيق وحدة الدولة، بدم روح الفردية وتنمية روح الجماعة أو الإحساس بالشعور بالحياة الجماعية.
2. تنمية المواطنة الصحيحة في الأفراد، عن طريق إمداد الشباب بالمعرفة الدقيقة عن طبيعة الحكم وطبيعة الحق المطلق حتى يستطيعوا ممارسة الأعمال الرئيسية في الحياة المدنية والاجتماعية.
3. إعلاء العقل على الأمور الحسية، والروح على البدن عن طريق إيقاظ الملكة العاقلة فيه.
4. تنمية الإحساس بالجمال ومحبة الخير والجمال.
5. تحقيق التناسق في خلال التوفيق بين مطالب الجسم والعقل، والحياة التي تقوم على العادة وتلك التي تقوم على التفكير، والمصالح الفردية ومصالح الدولة.
6. تربية أطفال قادرين على حكم أنفسهم، ويستطيعون بتفكيرهم التصرف في المسائل المتعلقة بسلوكهم وبذلك يوفرون على الدولة عبء إصدار تعليمات وقوانين تفصيلية في هذه المسائل.

7. تمدن الأطفال تطبيعهم اجتماعيا وتهذيب علاقاتهم بعضهم ببعض وعلاقاتهم بالذين يحكمونهم.

وبذلك استطاع أفلاطون أن يحل مشكلة النزاع بين مصالح الفرد وسعادة المجتمع حلا مرضيا، وإن يوفق بين مطالب الجسم والروح. إلا أنه يؤخذ على فلسفته التربوية نزعتة المثالية، ومبالغته في تقدير العنصر العقلي والعنصر الأدبي على حساب الجانب العلمي في التربية وعلى حساب الناحيتين الوجدانية والإرادية ونزعتة الارستقراطية.

وقد جعل "أفلاطون" من التربية حجر الأساس لبناء الجمهورية الفاضلة، والهدف الأسمى للتربية هو خدمة الدولة. لذلك دعى إلى السيطرة التامة للدولة على العملية التربوية حتى يتم إعداد الأشخاص وتربيتهم بصورة تتناسب مع قدراتهم الفردية، إلى جانب تأهيلهم للمستويات التي تسمح بها قدراتهم الذاتية. فالدولة يجب أن تستفيد من كل فرد من أبناء المجتمع حسب قدراته وإمكاناته الذاتية⁽³⁵⁾.

ليس هذا فحسب، بل إن أفلاطون قسم أفراد المجتمع إلى ثلاث طبقات حسب مؤهلاتهم التربوية التي أسست حسب قدراتهم الذاتية. أقلها تأهिला طبقة التجار، وأكثرها تأهिला وقدره الطبقة التي تستلم زمام الأمور في الدولة، وتتوسط هاتين الطبقتين طبقة الجند⁽³⁶⁾.

ويؤكد أفلاطون أن حاجات الإنسان "لا تقتصر على متطلبات الحياة المادية وإنما ينبغي لأهل المجتمع أن يتذوقوا الفنون والآداب بارتقاءهم في أساليب الحياة"⁽³⁷⁾.

أما الشروط الواجب توفرها لدى طبقة الحكام التي تتولى حماية المدينة وقيادتها فيقول أفلاطون: "اختيار أفراد هذه الطبقة منذ الصغر... لنختبرهم كما يختبر الذهب بالنار، وبعد أن يتلقوا تربية وتعلما طويلا يختار أصلحهم ليكون حاكما. ويجعل أفلاطون في جمهوريته نظاما معينا في التربية والتعليم، يؤسس على ما يأتي:⁽³⁸⁾

1. ينبغي مراقبة ما يصل إلى أسمع هؤلاء الحكام في طفولتهم من قصص أو فنون تؤدي إلى انحراف ذوقهم وأخلاقهم.

2. كما ينبغي أن نمي فيهم قدرة تذوق الجمال بواسطة الموسيقى والفنون الجميلة التي ترهق أذواقهم كما تقوي الرياضة البدنية أجسامهم.

ويذكر أفلاطون في الكتاب السابع من الجمهورية الأساليب التي ينهض عليها التأهيل الفكري للفيلسوف، وهذا الأساس يقوم على علوم أربعة تستخدم كلها "المنهج الفرضي"، وهي: الحساب، الهندسة، الفلك، والموسيقى⁽³⁹⁾.

وينضاف إلى تلك العلوم الجدل، والجدلي الحقيقي هو صاحب العقل الشامل، العقل الذي يترك العلوم في حالة الشتات، بل يعايش صلة قربها فيما بينها وبالوجود⁽⁴⁰⁾.

وقد وظف أفلاطون العلم السقراطي الذي تتمثل أهم سماته المميزة في الترابط الوثيق بين موضوع المعرفة والطريقة المنهجية التي يتم بها الوصول إليه، إذ أن منطلق أفلاطون هو ما يسمى عادة بالمفهوم السقراطي، أو ما سماه هو بالمثال (idea أو eidos) مثل الشجاعة أو الفضيلة أو الورع. فالمثال إذن صفة كامنة في الموجودات ذاتها، ولكن لا سبيل إلى استنباطها إلا بالفحص السقراطي⁽⁴¹⁾.

يرتبط جوهر نظرية المعرفة عند أفلاطون بالمبدأ العقلاني، فبقدر ما يرتفع مستوى الموضوع المعني انطولوجيا. وبقدر ما تكون معرفته أكثر قيمة، يكون أكثر تأكيداً ويكون مصدره أكثر حسماً إذ علينا أن نراه في العقل لا في الإبصار.

ويرتب أفلاطون مستويات المعرفة كما يأتي:

الإدراك من اليونانية (noésis) بالنسبة إلى الدرجة الأعلى، ثم الفهم (dianoia) بالنسبة إلى الرتبة الثانية. أما الثالث فهو الاعتقاد أو الرأي (pistis). أما الأخير فهو الظن (cikasia). وعلاقة للإدراك وللفهم باعتبارهما المعرفة الحقة بالتجربة والاختيار الحسي، إنهما طريقان في المعرفة مستقلان إلى حد ما. ففي حين كان سقراط يفكر في استخلاص العام من

الخاص رأى أفلاطون انه لا يمكن بلوغ أعلى صور المعرفة بالاشتقاق، فالمثل لا يمكن الاستدلال عليها وهي في "تجسدها" ذلك، بل يمكن تأملها دون شروط.

ويجب أفلاطون على سؤال: من أين للنفس أن تعرف المثل؟ حيث يؤكد أن النفس تعرفت إلى المثل إبان وجودها السابق. فالمثل لا يمكن أن تستنتج بل تكون موضع تأمل، إنها نتاج التذكر. إن المعرفة والعلم هما تذكر. إذ أن النفس قد رأت المثل في وجودها السابق إلا أنها قد نسيتها حين دخلت الجسد⁽⁴²⁾. وفي أسطورة الكهف يشرح أفلاطون طريق الصعود إلى المثل.

إذن كانت هذه قراءة فلسفية لظاهرة التربية والتعليم عند أفلاطون والتي حاولت أن تبين الخلفية المعرفية والفلسفية التي استند عليها أفلاطون في إرساء الجمهورية المثالية عن طريق توظيف العملية التعليمية.

أما فيما يخص النقد الذي يوجه له فيتمثل في ان التربية عنده تختار عنصرا معيناً من أفراد المجتمع فتكون تربية عنصرية لان الطبقة التي تتلقى تربية خاصة دون غيرها من الطبقات ستجعل من هذه الفئة، تحديداً، عنصرية اتجاه غيرها تنظر إليهم نظرة دونية لا تكاملية. لكن ما هي القراءة السوسيولوجية التي يمكن أن تقدم لإسهاماته ضمن هذا المجال؟

3.2. الأسس السوسيولوجية للتربية والتعليم؛

تصنف أعمال أفلاطون، في مجال علم الاجتماع، ضمن ما يصطلح على تسميته بالفكر الاجتماعي الذي يؤسس عادة على إبداء المفكر لتصورات ترتبط بتقديم حلول نظرية لمختلف المشكلات الواقعية التي يعيشها المجتمع الذي ينتمي إليه.

ويتفق كثير من المهتمين بتاريخ الفكر الاجتماعي أن إسهامات أفلاطون، ضمن هذا المجال تتمظهر بشكل واضح في كتابه "الجمهورية"؛ "وهو كتاب فلسفي ألفه عام 360 قبل الميلاد، وهو مؤلف رئيسي سماه "كاليبوس" مقترن بالعدل: ما هي الدولة العادلة؟ ومن هم الأفراد العادلون؟"⁽⁴³⁾

والظاهر، بناءً على هذه الإشكالية التي طرحها، انه كان منشغلاً بما يصطلح عليه في علم الاجتماع بفكرة النظام والانتظام؛ وهي نقطة انطلاق الفكر السوسيولوجي لدى رواد علم الاجتماع (ابن خلدون، كونت، دوركايم، وغيرهم)، ومفادها السؤال الآتي: كيف يمكن لنا أن نخلق مجتمعاً يسود النظام والانتظام ويرضى كل جزء منه (الأفراد، الجماعات، وحتى المؤسسات والبناءات) بالمركز والمكانة والدور الاجتماعي الذي يؤديه.

وكمقارنة أولية حول إشكالية النظام ضمن مجال الفكر الاجتماعي والفكر السوسيولوجي؛ فالأول يتصل بالتأمل الفلسفي العميق أما الثاني فيؤسس على اعتماد منهج علمي واضح ودقيق؛ وإذا عدنا إلى أفلاطون، كمفكر اجتماعي وليس عالم اجتماع، "فهو لا يرسم تخطيطاً اجتماعياً للمدينة على ما هي عليه، بل على ما يجب أن تكون عليه"⁽⁴⁴⁾.

أما عن نظريته للمدينة أو الجمهورية فهو يدعو إلى إقامة مجتمع طبقي يرضى فيه كل عنصر بوظيفته الاجتماعية؛ وهو يقول في ذلك: "إن على كل فرد أن يؤدي وظيفة واحدة في المجتمع هي تلك التي وهبته الطبيعة خير قدرة على أدائها وبدون أن يتدخل في شؤون غيره"⁽⁴⁵⁾.

والدولة في نظره ضرورة لا مفر منها لأنها هي التي تضمن تلبية الاحتياجات، باختلافها وتنوعها، للأفراد والجماعات؛ إنها "تنشأ أساساً عن عجز الفرد عن الاكتفاء بذاته وحاجته إلى أشياء لا حصر لها، ولكي يلي الفرد حاجاته المختلفة، مادية ومعنوية، ينبغي أن يأتلف مع غيره ليكونوا مجتمعاً يقوم كل واحد منهم، حسب مؤهلاته ومواهبه الطبيعية، بالوظيفة التي تخصه خير قيام، فتتکامل الوظائف في توفير كل ما يطلبه أي فرد في الدولة من حاجات"⁽⁴⁶⁾.

أما عن تصوره للطبقات التي يجب أن تتشكل منها جمهوريته فهو يحددها في "ثلاث طبقات: الصناع، الحاربين والقضاء (الفلاسفة)"⁽⁴⁷⁾. ولتفعيل هذا النظام الطبقي بحث أفلاطون عن آلية تمكنه من تجسيده على أرض الواقع أو ضمن ما يسميه بالجمهورية فقد

تنبه إلى إمكانية اعتماد نظام التربية والتعليم لممارسة ظاهرة الانتقاء الاجتماعي، وتحديد طبقات المجتمع بناءً على مخرجات العملية التعليمية؛ وعموماً تؤسس أطروحته على ما يأتي:

يؤكد "أفلاطون"، في البداية، على ضرورة "التمييز بين الأطفال وذلك باختيار الأصحاء القادرين على تحمل التمرينات الرياضية بدون نظر إلى أصلهم الطبقي، ويخضعون لبرنامج تربوي موحد لا فرق فيه بين صبي وفتاة"⁽⁴⁸⁾.

وبعد عملية انتقاء الأصحاء من الأطفال يقترح أفلاطون إلحاقهم "بملاحي" تابعة للدولة، فيها يعيشون ويدرسون ويتدربون ويخضعون بصفة دورية لاختبارات يوجهون على أساسها إلى الحياة العملية، و بناءً على ذلك يتحدد مركزهم ووظيفتهم والطبقة الاجتماعية التي سينتمون إليها ويؤدون ما عليهم دون تدمير أو تمرد، لأنه قد أتيحت لهم الفرصة ولكن مؤهلاتهم هي التي حددت لهم درجتهم ضمن السلم الاجتماعي.

أما عن المراحل التي تمر بها العملية التربوية والتعليمية فقد حددها في أربعة، ينجر عنها توجيه الأفراد للحياة الاجتماعية وتأدية الوظائف المنوطة بهم؛ وهي تتمثل فيما يأتي:

- المرحلة الأولى؛ "وتستمر حتى بلوغ سن الثامنة عشر (18) ويخضع فيها الأطفال لنظام غذائي متكامل تحت إشراف طبي مع ممارسة التدريبات الرياضية لتصح أجسادهم، ويرافق ذلك تعلم الآداب الراقية والاستماع إلى الموسيقى الهادئة"⁽⁴⁹⁾.

- المرحلة الثانية؛ "فتبدأ من سن الثامنة عشر (18) حتى بلوغهم سن الثلاثين بعد أن يجتازوا الاختبارات التي تعقد لهم في ختام المرحلة الأولى بنجاح. وهي تبدأ بفترة تستمر من سنتين إلى ثلاث سنوات يتدربون فيها تدريباً عسكرياً إجبارياً؛ وإذا اجتازوا هذه الفترة من التدريبات العسكرية بنجاح يتحولون بدءاً من سن العشرين وحتى الثلاثين إلى دراسة العلوم الخاصة، والعلوم الرياضية وهي الحساب والهندسة والفلك والموسيقى، وهذه الدراسة تستهدف أن يتدرب هؤلاء الشباب على التفكير المجرد وعلى إدراك العلاقات المجردة بين الأشياء، وذلك ليتأهلوا بعد ذلك لدراسة الديالكتيك أو الفلسفة"⁽⁵⁰⁾.

- المرحلة الثالثة؛ وتبدأ "من سن الثلاثين حتى الخامسة والثلاثين وهي المرحلة المتخصصة لدراسة الديالكتيك، أي لدراسة الفلسفة، وفيها يتعرفون على طريقة الوصول إلى اكتشاف الحقيقة المجردة بالجدل الذي يرتفعون به من المحسوس إلى المعقول بدون وساطة أو أي أداة من أدوات الحس" (51).

- المرحلة الرابعة والأخيرة؛ "وفيها يخضع الأطفال الذين اجتازوا بنجاح اختبارات المراحل السابقة، وهي تستمر لمدة خمسة عشر عاما أخرى، وقد خصصت للتدريب العملي على ممارسة الوظائف العليا وتولي المهام العسكرية الفعلية، والغرض من ذلك هو اختبار قدرة الأبناء على الصمود أمام المغريات التي تتجاذبهم من جميع الاتجاهات، فضلا عن أن هذه التدريبات تجعلهم يتميزون عن كل ما عداهم في الشؤون العملية وفي المعرفة" (52)؛ إذن "فالغاية التي تسعى إليها أفلاطون من نظامه التربوي التعليمي تتمثل في تخريج تلك الفئة الممتازة القادرة على حكم الجمهورية المثالية، وهم أولئك الفلاسفة الذين يستطيعون ممارسة وظيفة الحكم محاولين تحقيق هذه المثل في دولتهم دون سعي إلى تحقيق أي غرض شخصي أو أي مصلحة أنانية" (53).

إن التدقيق فيما يتعلق بالمراحل التعليمية، السالفة، ومخرجاتها يحيلنا إلى الأطروحة المشهورة في مجال علم اجتماع التربية والتي مفادها أن المدرسة تمارس الانتقاء الاجتماعي؛ بمعنى أن مخرجاتها هي التي تحدد المكانات الاجتماعية للأفراد والجماعات، وهي بذلك تساهم في التنظيم الاجتماعي.

نقطة أخرى تحسب لأفلاطون حيث يعتبر من بين الأوائل الذين فكروا في كيفية انتظام المجتمع وبالتالي استقراره واستمراره؛ وهذه النقطة بالذات شكلت محور اهتمام رواد علم الاجتماع على غرار ابن خلدون (أطوار الدولة)، كونت (قانون الحالات الثلاث لتقدم البشرية)، سبنسر (أنواع المجتمعات)، دوركايم (في تقسيم العمل الاجتماعي) وغيرهم من باحثي علم الاجتماع الذين اهتموا بهذه الاشكالية.

- الخلاصة:

بناءً على ما تقدم فانه يمكن تسجيل الملاحظات الآتية:

- إن الفكر الأوروبي، خاصة باختلاف وتعدد مجالاته، كان دائما يجد أصوله في أعمال فلاسفة الإغريق وخاصة سقراط، أفلاطون وأرسطو؛ وإذا تكلمنا عن المدينة الفاضلة المنشودة من قبل المفكرين نجدها تتجسد فيما يصطلح على تسميته الجمهورية المثالية.
- على الرغم من اعتماد أفلاطون للتأمل الفلسفي العميق في سبيل وضع أسس جمهوريته "الطوباوية" إلا انه اهتدى إلى معيار أساسي، يبدو مقنعا إلى حد ما (التربية والتعليم)، في توزيع الوظائف الاجتماعية وتحديد الطبقات التي يتشكل منها المجتمع، بحيث يرضى كل عضو بما يعيشه لأنه، من الناحية المنطقية، أتاحت له فرصته كاملة غير أن مؤهلاته هي من حددت مكانته وواقعه الاجتماعي غير القابل للنقاش نظريا.
- وإذا جئنا إلى مجال علم الاجتماع فانه يمكننا تصنيف أفلاطون ضمن رواد الفكر الاجتماعي الذين اشتغلوا حول إشكالية النظام والانتظام فيما يتعلق بالمجتمع؛ فحتى وان كانت جمهوريته مثالية وغير قابلة للتحقيق إلا انه قدم إنارة بارزة في تاريخ التفكير الاجتماعي. وكامتداد لذلك ظهرت في العصر الحديث بعض النظريات التي وُصفت بأنها معيارية "مثالية" (لا يمكن تطبيقها على أرض الواقع) على غرار النظرية البنائية الوظيفية التي ظهرت في أمريكا مع نهاية عقد الثلاثينات وبداية عقد الأربعينيات من القرن العشرين والتي انطلقت من فكرة أن المجتمع يتشكل من مجموعة من البناءات، كل بناء يؤدي وظيفة محددة لصالح المجتمع؛ وإذا تمكنت كل أجزاء المجتمع من تأدية وظائفها على أكمل وجه فهذا يؤدي إلى بقاء واستقرار المجتمع (دائما هناك هاجس علمي يرتبط بظاهرة انتظام المجتمع واستقراره).
- عند تصفح كتاب الجمهورية لأفلاطون يتشكل لدى القارئ انطباع أولي مفاده ان الافطار الواردة فيه تتسم بالمغالاة في المثالية؛ وهذا شأن القراءات النقدية لفكره حيث تصفه بانه: خيالي، بعيد عن الواقع، "طوباوي"... الخ. ورغم ذلك وإذا تأملنا الواقع، ودققنا في المهنة والمكانات الاجتماعية للأفراد والجماعات، فانه لا يمكن ان ننكر ان المؤسسات التعليمية،

تقريباً في كل المجتمعات، كانت ومازالت تمارس وظيفة الانتقاء الاجتماعي (في النهاية ما نحن إلا محصلة سلسلة من الاختبارات التي اخضعنا لها، وبناء على ذلك يتحدد مركزنا في السلم التراتبي للمجتمع). وبناء على ذلك، و كوصية بحثية هامة، اوصي المهتمين بهذا المجال (الانتقاء الاجتماعي والترايبية الاجتماعية) ان يجوهوا مجال اهتمامهم العلمي لبحث العوامل الاساسية التي يتوزع بموجبها الافراد ضمن مكانات اجتماعية داخل المجتمع الذي ينتمون اليه دون مقاومة او رفض؛ بل عن طيب خاطر وخضوع واسكانة.

- واخيراً، وكوصية ضمن مجال البحث العلمي، نوصي الباحثين الذين يبحثون مثل هذا المواضيع التي تم تناولها في اطار زماني ومكاني معينين، وضمن سياق فكري وثقافي مغاير ان يتزودوا بالمنهجين المقارن والتاريخي للتعرف على، ما يصطلح عليه في التراث النظري بالتاريخ التطوري للظاهرة وذلك باعتماد الملاحظات الدقيقة وعقد المقارنات الذكية التي تمكنهم من الوصول الى حقائق جديدة حول الموضوع المدروس.

- المراجع :

- (¹): ابن منظور (1405) : "لسان العرب". المجلد الأول، إيران، نشر آداب الحوزة، ص 401.
- (²): Bérengère bancher et alter (2017) : **"le Robert illustré"**. paris, SEJER, p 624.
- (³): Sally Wehmeier (2006) : **"Oxford Advanced Learner's Dictionary of English"**. England, Oxford University Press, 7th Edition, p 467.
- (⁴): Madeleine Grawitz (2004): **"lexique des sciences sociales"**. France, Edition Dalloz, 8^e édition, P 141.
- (⁵): لالاند أندري (2008) : "موسوعة لالاند الفلسفية، معجم مصطلحات الفلسفة النقدية والتقنية". المجلد الأول، ترجمة خليل احمد خليل، لبنان، عويدات للنشر والطباعة، ص 322-223.
- (⁶): احمد زكي بدوي (1982): "معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية". ، لبنان، مكتبة لبنان ، ص 127.
- (⁷): جيل فيريول (2011): "معجم مصطلحات علم الاجتماع". ترجمة أنسام محمد الأسعد، لبنان، دار ومكتبة الهلال، ط01، ص 127.
- (⁸): نبيل عبد الهادي (2009) : "مقدمة في علم الاجتماع التربية". الأردن، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع ، ص 39.

(⁹): "المرجع نفسه"، ص 39.

(¹⁰): "المرجع نفسه"، ص 40.

(¹¹): ابن منظور (1363): "لسان العرب". المجلد الثاني عشر، إيران، نشر آداب الحوزة، ص 417.

(¹²): Bérèngère bancher et alter, "Op Cit", p 658.

(¹³): Sally Wehmeier, "Op Cit", p 1518.

(¹⁴): سميح دغيم (2000): "موسوعة مصطلحات العلوم الاجتماعية والسياسية". لبنان، مكتبة لبنان، ط 01، ص 283.

(¹⁵): Madeleine Grawitz, "Op Cit", p 151.

(¹⁶): احمد زكي بدوي، "مرجع سبق ذكره"، ص 127.

(¹⁷): شارلوت سيمور- سميت (2009): "موسوعة علم الإنسان، المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية". ترجمة محمد الجوهريه وآخرون، مصر، المركز القومي للترجمة، ط 02، ص 219.

(¹⁸): بدر الدين بن تريدي (2010): "قاموس التربية الحديث". الجزائر، المجلس الأعلى للغة العربية، ص 116.

(¹⁹): ابن منظور: "لسان العرب". المجلد الأول، "مرجع سبق ذكره"، ص 170.

(²⁰): Bérèngère bancher et alter, "Op Cit", p 1810.

(²¹): Sally Wehmeier, "Op Cit", p 1399.

(²²): Madeleine Grawitz, "Op Cit", p 375.

(²³): فؤاد البهي السيد، سعيد عبد الرحمان (1999): "علم النفس الاجتماعي، رؤية معاصرة". مصر، دار الفكر العربي، ص 102.

(²⁴): احمد زكي بدوي، "مرجع سبق ذكره"، ص 400.

(²⁵): زكريا الشريبي، يسرية صادق (2000): "تنشئة الطفل وسبل الوالدين في معاملته ومواجهة مشكلاته". مصر، دار الفكر العربي، ص 18.

(²⁶): "المرجع نفسه"، ص 18.

(²⁷): عقاب نصيرة (1995/1994): "التنشئة الاجتماعية وأثرها في السلوك والممارسات الاجتماعية للفتيات".

الجزائر، رسالة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع، معهد علم الاجتماع، جامعة الجزائر، ص 03.

(²⁸): "المرجع نفسه"، ص 03.

(²⁹): محمد عبد الرحمان مرجبا (2000): "الموسوعة الفلسفية الشاملة؛ من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية". المجلد الأول، لبنان، عويدات للنشر والطباعة، ص 112.

(³⁰): جاستون بوتول (دون سنة): "تاريخ علم الاجتماع". ترجمة غنيم عبدون، مصر، الدار القومية للطباعة والنشر، ص 09.

(³¹): م. روزنتال، ب. يودين (1985): "الموسوعة الفلسفية". ترجمة سمير كرم، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط 02، ص 40.

- (³²): بيير ديفاني وآخرون (2014): "معجم الحضارة اليونانية القديمة". الجزء الأول، القاهرة، ترجمة احمد عبد الباسط حسن، المركز القومي للتربية، ط 01، ص 139.
- (³³): محمد التومي الشيباني (1971): "تطور النظريات والأفكار التربوية". بيروت، دار الثقافة، ص 32.
- (³⁴): "المرجع نفسه"، ص 34.
- (³⁵): حسن الحيارى (1993): "أصول التربية في ضوء المدارس الفكرية إسلاميا وفكريا". الاردن، دار الأمل، ص 233.
- (³⁶): "المرجع نفسه"، ص 234.
- (³⁷): أميرة حلمي مطر (1994): "جمهورية أفلاطون". القاهرة، مطابع الهيئة المصرية، ص 22.
- (³⁸): "المرجع نفسه"، ص 22-23.
- (³⁹): اميل برييه (1987): "تاريخ الفلسفة". الجزء 01، ترجمة جورج طرابيشي، بيروت، دار الطليعة، ط 02، ص 153.
- (⁴⁰): "المرجع نفسه"، ص 154.
- (⁴¹): "المرجع نفسه"، ص 148.
- (⁴²): بيتر كونزمان وآخرون (2003): "أطلس الفلسفة". ترجمة جورج كتورة، المكتبة الشرقية، بيروت، ط 11، ص 41.
- (⁴³): احمد المنياوي (1010): "جمهورية أفلاطون". سوريا، دار الكتاب العربي، ط 01، ص 24.
- (⁴⁴): جاستون بوتول، "مرجع سبق ذكره"، ص 90-10.
- (⁴⁵): مصطفى النشار (1999): "تطور الفكر السياسي القديم، من صولون إلى ابن خلدون". مصر، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط 01، ص 70.
- (⁴⁶): "المرجع السابق"، ص 71.
- (⁴⁷): جاستون بوتول، "مرجع سبق ذكره"، ص 11.
- (⁴⁸): مصطفى النشار، "مرجع سبق ذكره"، ص 74.
- (⁴⁹): "المرجع نفسه"، ص 74.
- (⁵⁰): "المرجع نفسه"، ص 75.
- (⁵¹): "المرجع نفسه"، ص 76.
- (⁵²): "المرجع نفسه"، ص 76.
- (⁵³): "المرجع نفسه"، ص 76.